

## فعالية النظام الجامعي الجزائري في إنتاج المعرفة واستهلاكها. "طلبة قسم علم الاجتماع نموذجا"

### ملخص

يهدف هذا المقال إلى محاولة تحديد فعالية النظام الجامعي الجزائري فيما يتعلق بإنتاج المعرفة و استهلاكها على اعتبار أنها حاملة للتغيير "Change Carrier" في الجزائر. فإننتاج المعرفة في قسم علم الاجتماع مثلا، عبارة عن نشاط إنساني تربوي (تكوين النظري و التطبيق) يعنى فيه بتكثيف جميع الموارد المتاحة حسب ضرورات التكوين (المنهاج). بالمقابل، يغدو استهلاك المعرفة هو الآخر نشاطا إنسانيا يزاوله الباحثون و الأخصائيون الاجتماعيون لإشباع حاجات المجتمع من خدماتهم Feed back.

توجد دوما مشكلات عديدة داخلية و أخرى خارجية يعانيها النظام الجامعي تؤثر على نوعية المعارف كمدخلات- (inputs) و تجعل حصائلها النهائية (outputs) تتناسب، تقترب و تتعد عن تحقيق أهدافها على المدى المنظور وفقا لمعيار فعالية جدول الاستثمار و الفوائد (Cost - Benefit Effectiveness).

سنحاول في هذا البحث فحص بعض المشكلات و تحليلها بناء على معطيات تم الحصول عليها من لدن طلبة تخرجوا من قسم علم الاجتماع. نختتم البحث بمحاولة لتقييم مدى نجاعة النظام الجامعي في تحقيق إنتاج المعرفة و استهلاكها بعقلانية.

د/ عبد الله ساقور  
كلية الآداب و اللغات و العلوم  
الإنسانية و الاجتماعية  
جامعة باجي مختار  
عنابة، الجزائر

**"كل"** رجل عظيم يملك موهبة في التنظيم و البناء سواء كان ذلك في حقل الشعر أو الفلسفة، في مجال وضع خطة أو استراتيجية، و دون منهج محدد لا يمكن أن يقوم بأي تنظيم<sup>1</sup>.

يمكن اعتبار هذا المقتطف مصادرة "Postulat" تلخص بصدق تهيئة بناء استراتيجية تعليمية و بحثية تقوم بتوفير الشروط المادية و البشرية اللازمة لتهيئة الإنسان كي يواجه الحياة بصورة فعالة. وهو ما يشكل تماهيا "Identification" جزئيا مع المجتمع. فالجامعة هي بمثابة مصنع

### Abstract

This paper attempts to pinpointing the efficiency of the Algerian higher educational system in the production and consumption of knowledge. However, an exploded view of the university system is critically appraised. There are several problems affecting the quality of its inputs and outputs in the long run.

<sup>1</sup>مقتطف لصاحبه بولور " Bulwer " من كتابه " The Public Speaker Chest " أورده خير الله عصار في مؤلفه : مدخل إلى قضايا التعليم في العلوم الاجتماعية. دار طلاس، دمشق، سوريا. 1993 الصفحة 141.

لإنتاج المعارف التي تستخدم في تحقيق الأهداف التربوية و المجتمعية على -حد سواء- لما توافره من معطيات معرفية بالمحيط الذي يتنامى تطوره باضطراب مذهل في جميع مناحي الحياة. فعصر الثورة الثقافية الثالثة المرتكزة أساسا على المعارف الكثيفة و الوثبات المعلوماتية و ضمان تدفقها بسرعة مذهلة لمجموعات سكانية تتراوح ما بين 100-150 مليون نسمة، يستوجب أن يكون نصفها قد تلقى تعليما ثانويا و ربعها تعليما جامعيًا حسب توفلر<sup>2</sup>.

إن مواضيع المعرفة تتداخل مع الفكر المعاصر الذي يؤسس لحال العولمة " Globalisation "... يبدو هذا الاتجاه قويا بانشغالاته المتمركزة حول بناء الإنسان و تزويده بقدرات و خبرات ليغدو قادرا على تحريك ذاته و نفسه و محيطه. باختصار، إنها قضيته أن يصبح فيها المتعلم ذاتي المرجعية " Self-Referential و ذاتيا في تحريك و ضبط ميكانيزمات حياته "Self-Steering" و ذاتيا في تنظيم عملا ما "Self-organisational"<sup>3</sup>.

اعتقد أنه من حقنا كمربيين و كمعلمين أن نحلم أن يكون باستطاعتنا إنتاج جيل عربي جديد على غرار ما أفرزته الموجة الثالثة للمجتمع ما بعد الصناعي "Post-Industrial" من جيل السكان الذي يعرف باسم " Yupees"<sup>4</sup> هذا من جهة و من جهة أخرى، يمكن القول، من واجب قياداتنا السياسية و التعليمية أن تأخذ بالحكمة إلى أقصى مدى عند النظر في الاختيارات المتعددة " Over-choice " بحيث لا تقع في الارتجال و إلا فإنه سينطبق عليها حال اللاقوة " Powerlessness"<sup>5</sup>.

يهدف هذا المقال إلى:

أولا: دراسة الخلفية " Background " الإيديولوجية لنظام التعليم الجامعي في شكله الحالي و محاولات إصلاحه.

ثانيا: تحديد مكونات النظام و دراسة بنيته الداخلية و رصد بعض تفاعلاته، مع التركيز على:

- 1- أسلوب التسيير في الجامعة الجزائرية على اعتبار أنه الإطار المنظم لإنتاج المعرفة لما يتوافر عليه من مواد للعمل، موضوعات للعمل و وسائل العمل. و بذلك يبدو إنتاج المعرفة ك-ثروة مادية- خاصة يقابلها الاستهلاك في: أولا : طبيعة و نوعية المتخرجين بالمعاهد و الكليات كمنتج Out put. ثانيا: وجود سوق لتصريف هذا المنتج أو خلق الطلب على خدماته...

<sup>2</sup> See: Toffler, A (1993), War and Anti-war.Survival at the Dawn of the 21 st Century.

<sup>3</sup> See: Geyer, F (1994), "Development in Muslim Countries: Alienation/Participation and Increasing Environmental Complexity". Paper presented at 13th world Congress of Sociology. Bielefeld, Germany, 18-23, July.

<sup>4</sup>Yupees :Young Urban Professional: يقابلها في أمريكا: هو جيل سكاني يتشكل من شباب ذوي طموح عال يتمتعون بالمعاشرة في المدن الأمريكية و يتمتعون بحياة الرفاهية. مصطلح دخل اللغة الإنجليزية - الأمريكية منتصف الثمانينات. أنظر:

See: English Forum : English Teaching Forum, Oct 1992.

<sup>5</sup> See: Geyer, F : Development in Muslim Countries, Op.cit.

ثالثا: حالة خريجي قسم علم الاجتماع كدراسة وصفية لنموذجي الإنتاج والاستهلاك. قبل الخوض في تحليل بنية ومكونات ونتاج ووظائف النظام الجامعي لا بد من تحديد لطبيعة المفاهيم المستخدمة خصيصا في هذا العرض منها مثلا: المعرفة، الإنتاج العلمي، الاستهلاك العلمي، فعالية /عدم فعالية النظام الجامعي.... و هي مفاهيم مشتركة في أكثر من علم.

و عليه، تغدو المقاربة "Approach" لها عدة معان أيضا كالتالي:

1-منحى اقتصادي يفهم جوهر إنتاج واستهلاك المعرفة و تتبع آثارها من خلال الأنشطة و كيفية توزيع القوى العاملة (هيئة التدريس و الخبراء) و مستويات تكوينها في الجامعة و مراكز البحث.

2-منحى ثقافي / اجتماعي يستقرئ البنى الفكرية و التنظيمية للمؤسسات الجامعية و محاولة رصد بعض العمليات النفسية – الاجتماعية للثقاف المعرفي (تكيف، تماثل، صراع، اندماج الخ....) و ما تتضمنه من قيم و مقاييس و أحكام اجتماعية حدثت بفعل ديمقراطية التعليم و مجانيته من جهة، و التغذية الراجعة "back Feed" لهذا النموذج من النظام من جهة أخرى.

3-منحى دولي لفهم مدى التعاون فيما بين المجتمعات و رصد العلاقات الثقافية الرسمية و غير الرسمية.

إن الإنتاج "Production" يعني: "خلق المنفعة من حيث لم يكن لها وجود من قبل، و إضافة منفعة إلى شيء يحتوي قدرا معيناً منها. و يعرف أيضا بأنه خلق للأشياء أو الخدمات التي يمكنها إشباع حاجات الإنسان بصورة مباشرة أو غير مباشرة"<sup>6</sup>.

و يفهم من ذلك أن الإنتاج في جوهره عملية خلق و إبداع و إكثار من الشيء، النوع، درجته و صنوفه و يحمل قطعا صفات نوعية و أخرى كمية في الوقت ذاته... و هو أمر يتطابق إلى حد بعيد مع ما يوصف بالنشاط الإنساني الذي يقوم بتكييف الموارد المادية و البشرية المتاحة حسب الاحتياجات الاجتماعية. و تدعى الموارد المنتجة (الخريجون بالجامعة و الكليات و مراكز البحث، المعارف، الخبرات) بالمنتجات. و يبدو بذلك أن الإنتاج المعرفي و الخبراتي هو شرط وجود هذه المؤسسات الاجتماعية - التربوية و تشكل أساسه الاقتصادي البشري غير الناضب، لأن إنتاجها هذا هو الذي يحدد طبيعة تطورها لتعبر بصدق عن مميزات هذا البلد أو ذلك - بغض النظر- عن المشاكل التي تعوق تفتحها. إن إنتاجا ما و ليكن، معرفيا أو خبراتيا، يفترض وجود نماذج معينة من الاستهلاك و يتحدد بها من منطلق أن الاستهلاك هو نشاط يزاوله الإنسان، المجتمع، قطاعات مختلفة.... لإشباع حاجاتها من المنتج المعروض (المعرفة، الخبرة، الباحثون، الخبراء).

تستخدم المعارف و الخبرات " إنتاجيا " لخلق منتجات جديدة أو خلق الطلب على نشاط / وظيفة معينة أسوة بما يحدث في السوق. و هو أمر ممكن عندما تكلف فرقة

<sup>6</sup> حسن النجفي : القاموس الاقتصادي : إنكليزي / عربي. مديرية مطبعة الإدارة المحلية، بغداد، العراق 1977  
انظر: إنتاج "production".

بحث من خبراء في التربية مثلا بدراسة المشكلات التربوية في مؤسسات التعليم، أو تشكيل مخبر بحث يديره خبراء في الزراعة و القيام بمحاولات تجريبية في ميدان إنتاج حبوب معدلة وراثيا لمقاومة الجفاف أو الأمراض الخ... و يغدو الاستهلاك خاصا عندما تستعمل المعارف و الخبرات المحصل عليها استعمالا مباشرا لإشباع حاجات الباحث/الخبير/العالم كفتح عيادة أو مكتب محاماة أو استشارة الخ... باختصار، لا وجود لعملية إنتاج للمعرفة دون استهلاك لها و العكس صحيح. فالإنتاج الذي لا يستهلك يغدو عديم الجدوى. و تلعب البيئة الثقافية- الاجتماعية دورا حاسما في الترويج أو طمس هذه المنتوجات و منتجها و هو ما يقود إلى موضوع الفعالية أو النجاعة "Efficiency" و هي بمثابة النابض المنظم لتحقيق التوازن بين ما هو منتج و ما هو معروض فعلا منها للاستهلاك بدالة السعر. ذلك لأن النجاعة هي: "كل ما يوصف بها فعل معين و هي تعكس استخدام أكثر الوسائل قدرة على تحقيق هدف محدد، و لا تمثل خاصية فطرية في أي فعل من الأفعال، بل تتخذ عن طريق العلاقة بين الوسائل المتعددة و الأهداف وفقا لترتيب أولويتها"<sup>7</sup>.

و عليه، يمكن اعتبار النجاعة في إنتاج المعرفة و استهلاكها مسألة خلافية "Controversial" بالنسبة لطرق و مناهج استخدام الموارد المادية و البشرية. لكن الخلاف يتهاوى، أمام التوازن الأمثل بين الإنتاج و الاستهلاك من المعارف و الخبرات و الكوادر و تحقق الأهداف المرسومة في الإشباع الأمثل "Optimum Satisfaction" من مختلف المتطلبات.

و يأتي شرط إنتاج المعرفة من خلال استخدام أدوات و وسائل خاصة للعمل. إن المعرفة العلمية شديدة الاتصال بالمنهج العلمي، أي أن المعرفة العلمية يقررها نوع المنهج المستخدم في تحصيلها، و مدى تطابقه مع دقائق قواعد المنهج العلمي. و تنقسم بدورها إلى معارف تأملية، و انطباعية، و انزلاقية أحيانا أخرى، و لكن تتفوق عليها تلك المعارف التجريبية (الأميريقية) التي حصلت، أو تم التوصل إليها، بأدوات فنية و وسائل أعدت خصيصا كأدوات برهان<sup>8</sup>.

يستند النظام الجامعي في الجزائر إلى عامل الإنجاز "Achievement" من جهة، و عامل الشرعية "Legality" من جهة أخرى. و هو نظام ينطلق من فرضية مؤداها، أن المطالب النابعة من بيئة الجامعة ظرفية، متغيرة، يتكفل الزمن بحلها. مقابل التركيز على نموذج جامعي جزائري يتطابق و مبادئ مشروع مجتمع اشتراكي، و بها تشتق الأهداف التربوية و التعليمية و البحثية من فلسفة تربوية تقدمية "Progressivism" قوامها:

<sup>7</sup> نخبة من أساتذة علم الاجتماع: المرجع في مصطلحات العلوم الاجتماعية لطلاب قسم علم الاجتماع. دار

المعرفة، الإسكندرية 1985 لنظر: نجاعة "Efficiency".

<sup>8</sup> انظر: خير الله عصار : مدخل إلى قضايا التعليم في العلوم الاجتماعية، مرجع سبق ذكره، ص.ص. 21-22.

- 1-دمقرطة التعليم الجامعي و مجانيته. أي تمكين كل طالب علم جزائري -غنيا كان أم فقيرا- من موقع دراسي (مقعد بيداغوجي) بالجامعة، و تتكفل الدولة بالتكاليف، أي أنها تصرف له منحة دراسية طوال المدة التي يقضيها في الجامعة.
- 2-جزارة "Algérianisation" هيئة التدريس الجامعي، و المناهج، و الهياكل القاعدية.
- 3-استيعاب كل طالب جامعي - مهما كان مستواه - للتقليل من سويات التسرب الجامعي.
- 4-تعريب المواد الدراسية مع الانفتاح على اللغات الأجنبية.
- 5-تنمية البحث العلمي.

إن تكاليف الدراسة و الإعداد الجامعي عموما مكلفة و تقدر بدلالة أسعار المواد المستخدمة و التجهيزات و المرافق في مختلف الأقسام، تضاف إليها تكاليف الإقامة و النقل و التغذية و الترفيه... الخ، و التي يدفع فيها الطالب مبالغ رمزية من المنحة المقدمة إليه من قبل الدولة... و عليه، فالدولة الجزائرية تتكفل بكل نفقات الطالب تقريبا. من هنا تطرح إشكالية تكلفة الطالب الجامعي في ظل ارتفاع معدلات النمو السنوية في عدد الطلاب الجدد من جهة، و ما تتعرض له ميزانية الجامعة من إجراءات التقييد بفعل ظروف اقتصادية مزمنة من جهة أخرى(\*).

و تبدو الجزائر(\*\*) في سنة 2000، قضية غير مطروحة، على الرغم من النزيف الذي أصاب مؤسسة الجامعة، خلال العشرية المنصرمة، مما أفقدها أنشط و أكفاً عناصرها بفعل الهجرة... و هو ما تطلب اللجوء إلى نظام التدريس بالمشاركة(\*\*\*) "Associated" و بأعداد كبيرة من داخل القطاع و من خارجه. فمن ناحية التكلفة، فإن تكاليف نظام المشاركة قليلة، و لكن له آثار سلبية على نوعية المعارف المقدمة(العائد المعرفي). فالجزارة بهذه التطبيقات الترقية تغدو (ترياقا) يقتل الجامعة من الداخل. إن منطق العلم لا يتحدد بقومية محددة، و التقدّم لا يعد كذلك ما لم يشارك فيه الآخرون، في تصميم المباني و التجهيزات و صيانتها... الخ فإلى جانب مهامها التربوية و التعليمية و البحثية فقد استطاعت اللجان الوطنية (\*) تقديم برامج و مناهج دراسية "Curriculum" متماشية و التطورات العلمية الحاصلة في العالم و لم تعترض عن التسهيلات التي يتمتع بها الطالب المتلكئ و لا على الفرص العديدة للاستدراك، قد تمتد

(\*) منذ سنة 1993 يتابع صندوق النقد الدولي برنامجه المعروف تحت اسم حزمة سياسة الاستقرار Stabilization " Package " لمعالجة أوجه القصور في أداءات الاقتصاد الجزائري و عجزه عن دفع خدمات ( فوائد) ديونه الثقيلة و المقدرة سنة 1995 بـ 34 مليار دولار أمريكي. و بفضل السياسات المالية الكلية انخفضت هذه الديون إلى 28.315 مليار دولار أمريكي في جانفي 2000.

(\*\*) الجزائر و يقابلها "Algérianisation" و هو مفهوم فرنسي يعني إحلال العنصر الجزائري محل المدرس الأجنبي.

(\*\*\*) يتولى التدريس إلى جانب هيئة التدريس المعتادة مدرسون منتدبون " Associé " تسند إليهم الوظائف التعليمية. و لقاء عملهم هذا، يتقاضون عشر مرتب المدرس العادي.

(\*) تم تشكيل لجان تربوية تتولى إعداد البرامج و المناهج الدراسية للتعليم و التكوين و تأطير للطلاب و هيئة التدريس.

لعدة سنوات يستفيد منها تأجيله من خدمة العلم. فتكلفة هذا النوع من الطلاب تتزايد من سنة الأساس إلى أخرى.

و هناك مشكل هام خاص بالمغرب العربي عموما، و الجزائر خصوصا، يتلخص في تغلغل اللغة الفرنسية في الحياة اليومية و البرامج و وسائل الاتصال و...و... و بعد الاستقلال، قامت الجزائر بعدة حملات لتعريب التعليم، ولم تغلج في تعريب البلاد بسبب صعوبات عديدة، لا يتسع المقام لشرحها هنا. غير أن هذه الصعوبات، لم تمنع تلك الأقسام المعربة أصلا، بقوة القانون، مع وجود هيئة تدريس تتفاوت إمكاناتها البيداغوجية و البحثية بهذه اللغة أيضا من الاستمرار ... و عليه، تعاني مختلف الأقسام مشكلة بيداغوجية في لغة التدريس المتدرجة، من ازدواجية سطحية "Bilinguism"، و عامية مرتجلة، و عربية متواضعة.

يقدر عدد أعضاء هيئة التدريس حاليا بـ 13500 فردا، يمارسون التدريس / أو البحث. و هو يلاقي صعوبات متعددة على الرغم من وجود محاولات لتنظيمه في هيئات و وكالات و مخابر متخصصة تتمثل أساسا في رفض المحيط للبحث، و للجامعة على حد سواء، و النتائج منه يكاد يكون غير معروف رغم "حمى" العولمة و اقتصاد السوق و الخصوصية... الخ، نعم إن الأيديولوجيا موجودة طالما هناك إنتاج للمعرفة، غير أن الأيديولوجيا لا توطر المعرفة و توجهها فحسب، بل أن المعرفة، هي ذاتها تنتج الإيديولوجيا، أو هي على الأقل، شرط من الشروط المنتجة لها<sup>(9)</sup>. لكن المتفق عليه بين جمهور المهتمين بالعلم و الأيديولوجية هو وجود تلك الصلة الوثيقة بين النهضة الاقتصادية و المنظومة التعليمية عموما<sup>9</sup>.

نتنقل الآن إلى طرح سؤال في غاية الأهمية هو : كيف يمكن أن يكون النظام الجامعي في الجزائر فعالا؟ يتشكل النظام الجامعي في الجزائر على -غرار نظرائه- في البلدان العربية المتوسطة الدخل الوطني - من مجموعة العناصر المحركة للمرافق الجامعية و الآلية في شكل موحد لتحقيق الأهداف العامة و الخاصة طبقا لإجراءات و قواعد غير معقدة. و هو ما يساعد على ضبط و تطوير العملية التعليمية أو البحثية بناء على أسس محددة بدقة. لكن النظام الجزائري له خصوصيات ينفرد بها، حيث أن أجهزة الجامعة المختلفة فيه: عمادة، كلية، إدارة القسم، إدارة الجامعة، المجالس الملحقة بكل واحدة منها... جميعها أجهزة تنظيمية وضعت لتنفيذ الخطط التفصيلية و العامة. و تأسيسا على ذلك تتحدد شروط الفعالية في النظام كما يأتي:

- 1- عامل التكامل بين العناصر البشرية و الأجهزة الإدارية و تشكيلها في هيئة لكتلة اجتماعية متماسكة.
- 2- عامل الالتزام بالموضوعية و الحياد عند نقل الوقائع و تقديمها لمختلف السلطات الوصية دون تشويه، تحريف أو تسويق.

<sup>(9)</sup> يساهم عقد هذا المؤتمر في إثراء ظاهرة مجتمع الديداكتيكا "Learning Society" كمدخل تربوي للولوج و الاشتراك في العولمة.

<sup>9</sup> See : Toffler, A (1990) A Power shift – Knowledge. Wealth and Violence at the Age of the 21<sup>st</sup> Century. Bantam Books. New York U.S.A.

3- عامل تحمل مسؤولية التسيير بأضيق و أوسع معانيه و ضمان الفعالية على كل المستويات و دون تحيز.

4- ضرورة توافر مركز خاص بمعالجة البيانات لممارسة مهام التخطيط، المتابعة، التقويم.... غير أن هذا النظام لا يتصور وجوده دون محركه و يغدو بذلك عالما خاصا تخترقه القيم و تعطله المشكلات. لقد تحدث محمد العربي ولد خليفة(\*) عن "مآثر و مآخذ" هذا النظام. وجاءت تحليلاته ملونة ذلك الالتزام الإيديولوجي، بتكوين نظام جامعي استراتيجي في مكوناته و وظائفه، و تحديدا في بناء الخبرة الوطنية، و تزويد مختلف قطاعات الاقتصاد الوطني بالموارد البشرية (المنتوج) اللازمة لتطويرها (الاستهلاك). و التقويم الموضوعي لولد خليفة بوصفه الفريد هذا ليس وهما بل أن الجامعة و مراكز البحث تشهد هذا التنصف "Dichotomy" الهيكلي و الاختلال الوظيفي "Dysfunction" كل ذلك جعل فعالية النظام الجزائري معيبة في كثير من جوانبها. فتكلس أجهزة النظام و السعي باتجاه الترقيع على حساب الحلول الجذرية و نمو أساليب التسيير الشللية "Clanish" عند التسيير، المتابعة، التقويم، التخطيط... الخ و تغليبها في التعامل و بناء العلاقات و إضفاء طابع النزعة الانطباعية و المزاجية من جهة، و اجتهادات المجالس المختلفة ذات النزعة الاستشارية المرطبة لجفاف العلاقات بين مختلف المتفاعلين بالجامعة من جهة أخرى. أي أن المشاكل العالقة تحل بالعلاقات الشخصية من قبيل: سلطة، نفوذ و بالقانون أحيانا عند اللزوم لإعادة التوازن للنظام و تركيزه دون تحسين أداءاته. وهذا يعني أنه سيكون من الصعوبة بمكان تأطير ردود الفعل المصاحبة و هو ما يؤثر على منتوج النظام العلمي و الخبراتي. و هي أمور على جانب كبير من الأهمية و الخطورة، تغذي مشاعر القنوط و الإحباط و عدم الرضا لدى هيئة التدريس(\*\*). ففي هذا الوضع، فإن الجامعة هي صورة عاكسة لما يحدث في المجتمع من اضطراب في منهجية التفكير و ابتعاد العقل و عدم التقيد بالخطوات المنهجية في بحثه لأي مسألة. و هو أن الجامعة يتوقع منها كمؤسسة فاعلة في التغيير المجتمعي، أن تتجهد وفقا لإمكاناتها و بذاتها تقوم بتحديد استراتيجيات العمل و اختياراته. **مجالات الإنتاج و الاستهلاك للمعرفة و تطبيقاتها في الدراسات السوسولوجية**

افتتح علم الاجتماع كمعهد في جامعة باجي مختار عام 1976. إن إنتاج المعرفة في هذا القسم عبارة عن نشاط تربوي تعليمي (التكوين النظري و التطبيقي) يعنى فيه بتكثيف جميع الموارد المتاحة حسب ضرورات التكوين (المنهاج) يغدو استهلاك المعرفة في القسم كمنتوج عن طريق الفهم و الاستيعاب و التحليل و التركيب و التطبيق و التقويم، الخ. و عليه، فإن الاستهلاك، هو الآخر، نشاط إنساني يزاوله الطلاب في المدرجات و

(\*) محمد العربي ولد خليفة: أستاذ و باحث جزائري. أنظر كتابه : المهام الحضارية للمدرسة و الجامعة الجزائرية. مساهمة في تحليل و تقييم نظام التربية و التكوين و البحث العلمي. ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1989.

(\*\*) قام أساتذة التعليم العالي و البحث العلمي بعدة إضرابات منذ الثمانينات كان آخرها سنة 1998-1999 و دام عدة أشهر، كاد أن يكون سببا في سنة ملغاة (سنة بيضاء).

الأقسام، و يزاولونه عند نزولهم الميدان لتنفيذ استمارة استبيان أو جمع بيانات من المحيط الاجتماعي. فالمنطق يفرض هذا التداخل بين عمليتين لبلوغ مرحلة المنفعة. ويتحقق ذلك من خلال تقدير دقيق و مستمر – بدلالة النقود- لهؤلاء الأخصائيين الاجتماعيين كأصول معنوية يعكس كلا من المكاسب و الخسائر في المهارات و القدرات<sup>10</sup>.

فمستويات إنتاج المعرفة و استهلاكها في هذا القسم تتلخص في:

1. معرفة دقائق الأمور حول : المجتمع، الإنسان، البيئة الاجتماعية عموما و النظريات المفسرة لها و لمشاكلها.

2. معرفة الطرق و الوسائل التي تؤدي إلى دقائق الأمور (المنهجية و التقنيات).

3. معرفة الأشياء العامة و المجردة : بناء، وظيفة، طبقة، أيديولوجيا الخ.....

فهذه المعارف و التقنيات المكتسبة نشأت عن الممارسة و لم تكتسب قيمتها و مضمونها إلا من خلال اتصالها بالواقع التعليمي، و الاجتماعي المحسوسين فقط. إذ يقضي الطالب مدة أربع سنوات في الدراسة، و التركيب المعرفي : الفهم، الاستيعاب، التقويم. و يمكن توضيح مستويات المجال المعرفي من خلال سنوات الجذع المشترك، و التخصص بحيث يتعرف الطالب على المصطلحات و المفاهيم العامة في دراسة العلوم الاجتماعية و السلوكية من جهة، و معرفة حقائقها الخاصة بميدان ما من جهة أخرى.

و يزود الطالب أيضا بمعارف تتعلق بالطرق و الإجراءات المعدة خصيصا للتوصل إلى معرفة لهذا الميدان (التخصص) والتعرف عن كثب على مفاهيمه الأساسية كمدخلات "inputs" من خلال ردود أفعاله و قدراته الخاصة في استرجاع المعلومات وتذكرها، اختيارها، وصفها، تعريفها، تحديدها وتعديدها، الخ "outputs". ويستكمل الطالب كفاءته بإنجاز مذكرة التخرج يختار موضوعها باستشارة الأستاذ المشرف تستمد معطياتها من الواقع الاجتماعي الجزائري و تستمر أبحاثه الميدانية في موضوع المذكرة طيلة مدة السنة الدراسية. كما أنها تتمفصل مع مواد السنة الرابعة من حيث تطبيق المفاهيم و القوانين و النظريات الاجتماعية في مواقف عملية. و يقوم الطالب المتدرب على حل المشكلات الإحصائية كاختيار العينة، الميل، الانحراف، النزعة المركزية الخ... و رسم أشكال توضيحية و يقوم بالبرهنة على القضايا المثارة و ما استعان به من حكم بموجب داخلي أو بموجب دليل خارجي أو بالاثنين معا. لكن ما هو نتاج استخدامات هذه المعارف و تناولها؟ فالأهداف التعليمية، نظرية كانت أو تطبيقية، تمكن الطالب الدارس لها من أن يعمم، يطور، ينظم، يصنف، يحسب، يبرهن، يتنبأ و أخيرا ينتج.

و يعاني قسم علم الاجتماع من عدة مشكلات:

<sup>10</sup> Lev, B. Schwartz (1971) "On the Use of the Economic Concept of Human Capital in Financial Statements": The Accounting Review. Jan. P105.



- أ. ضعف المؤطرين و المكونين عموما. فمن مجموع هيئة التدريس الحالية لا يوجد إلا أربعة منهم فقط حاملي درجة دكتوراه.
  - ب. نقص في التأطير و اللجوء الى نظام المشاركة.
  - ج. قلة المراجع باللغة العربية و حتى الفرنسية و قدم إصداراتها.
  - د. حصار شبه مفروض على استيراد الكتاب عموما منذ سنة 1986.
  - هـ. تعريب العلوم الاجتماعية لم يكن مخططاله بدقة. فالإيقاع اللغوي يتأرجح بين العربية و الفرنسية و امتزاجا بالعامية. فلا الطلاب يحسنون العربية و لا الفرنسية أو الانجليزية بشكل مرض.
  - ز- ضعف هياكل الاستقبال و محدودية المكتبة و ضعف تجهيزات المطبعة... الخ.
- فالمجهود المقدم، على تواضعه، يسجل له، مقارنة بمستوى الضعف، في استهلاك هذا المنتج، أنه يحقق بعضا من الأهداف، كما يلاحظ:
- 1- الرفض غير المعلن من المحيط للجامعة، إذ يندر أن تستعين الشركات العامة أو الخاصة أو المجموعات المحلية أو الإقليمية بالباحثين الاجتماعيين.
  - 2- وجود إنتاج علمي مكسب متنوع الأغراض البحثية من اجتماع العائلة، الثقافة و العمل و الاتصال و التربية و لا يوجد من يطلبه أو يراجعه أو يستفيد من نتائجه (انعدام المنفعة).
  - 3- ضعف الإعلام الجامعي.
  - 4- عزوف القطاع الخاص عن الاستعانة بهذا النوع من الخبرات لأنه ضعيف المعرفة بجداها. فالمستثمر له مشاغله الخاصة بمطاردة الإدارة المحلية أكثر من تركيزه على المناخ الاجتماعي لنشاط منشأته أو مقاولته.
- على الرغم من ذلك فهناك تغيرات سيعرفها النظام الجامعي الجزائري من خلال الشروع في إصلاحات، هي جارية الآن، تتعلق بإعادة هيكلة المنظومة الجامعية من خلال قوانين مرتقبة و اتخاذ إجراءات فورية كتقديم أموال لهيئة التدريس بغرض التوثيق مثلا و حل بعض المشاكل الإدارية و الاجتماعية العالقة.

### تحليل النظام الجامعي : مقارنة منظومية

#### تقديم :

تتفاوت الأمم في تحقيق أهدافها التعليمية و البحثية، و هذا يتم بدلالة قدراتها المادية و البشرية المسخرة، غير أن هناك عدة اعتبارات تتحكم في آليات الأداء الجيد Perfect Performance لأي نظام "System" خاصة إذا اهتدى إلى موازنة الاعتبارات الفنية (التنظيم الرسمي) مع الاعتبارات السلوكية. فالأول يعنى بشروط السلامة خارجيا "Security" و الثاني يهتم بشرط الاستحسان ذاتيا "Approbation" و بتضافرهما يتوافر المناخ المناسب لإنتاج المعرفة و استهلاكها.

**1-الهدف:** تلبية متطلبات المتفاعلين الاجتماعيين بالجامعة و تنمية قدراتها في إنتاج المعرفة و استهلاكها. (أنظر المخطط المرفق )

**2-مكونات النظام:** يتألف النظام الجامعي من خمس وحدات من بينها إدارة الجامعة، على اعتبار، أنها "عصب العملية التعليمية و التنظيمية و البحثية"، بالإضافة إلى وجود أربعة قطاعات تقع جميعها تحت اختصاص مدير الجامعة و بقية الأعضاء موزعون بالتوافق لمساعدة مدير الجامعة و تزويده بالبيانات الضرورية لتخطيط توجهات الجامعة و تحقيق أهدافها.

**3- العلاقات :** يمثل السهم المستقيم تلك الاتصالات المباشرة و غير المباشرة مع إدارة الجامعة. و تشير السهام المتقطعة إلى الاتصال مع القطاعات المعنية بـ" إنتاج و استهلاك" الجامعة، للتنسيق و إعداد البرامج و تحليل البيانات. غير أن السهام الصغرى تشير إلى الاتصالات البيئية. هذه صورة نموذجية " Ideal Type " للأفعال المنجزة وفقا لقوانين و لوائح تنظيمية و التي تبين جانبا من تعقيدات هذا المخطط و سهولة تشخيص العوارض " Symptoms " التي قد تعتريه. لكن الجانب الذي لا يمكن التحكم و لا التنبؤ به هو طبيعة العلاقات الإنسانية غير الرسمية.

**4-ميكانيزمات التشغيل:** تبدأ عملية إنتاج المعرفة و استهلاكها من مختلف القطاعات عند تلقيها الاقتراحات بتقدير متطلباتها المختلفة قصد تبليغها لأكاديمية الشرق (قسنطينة) بغرض التنسيق مع الأهداف التعليمية و البحثية على المستوى الوطني. و تعاد هذه الاقتراحات إلى مختلف القطاعات بعد إجراء تعديلات عليها بهدف الإقرار و التنفيذ. وتبدأ عملية التغذية الراجعة "Feedback" التي تتلقاها مختلف القطاعات و تفسرها تبعا لوضعيتها و ظروفها و إمكاناتها ... و تستجيب لها بالتطيف، بالتشجيع، بالرفض للاستجابة. و هكذا يحدث ضبط و توجيه متبادل بين إدارة الجامعة و قطاعاتها و أكاديمية الشرق (قسنطينة).

باختصار، أن كل قطاع يضبط حركة الطرف الآخر بشكل تبادلي. فالاستجابة مخرجات مخططات و برامج جامعة عنابة المندمجة في خطة عامة بعد إدخال التعديلات اللازمة بالإضافة إلى استجابة أكاديمية الشرق (قسنطينة).

تبنى كل من المدخلات "Inputs" و المخرجات "Outputs" على أسس من حدود لإدارة الجامعة ك-أحد- مكونات النظام و الذي هو عبارة عن نسق فرعي "Sub-System" معرض و يخضع حتما لتأثيرات خارجية (وزارة التعليم العالي و البحث العلمي).

**5. الصعوبات التطبيقية و المفهومية للنظام:** على الرغم من أن المخطط (الرسم) عبارة عن صورة عقلية محبوبة للجامعة ك-نظام فني- و لكنه لا يفسر مفهوم إنتاج و استهلاك المعرفة و تعقيدات عمل النظام ذاته. يستند هذا المخطط على أساس أنه نموذج " مغلق " " Closed" و لكنه في جوهره نظام مفتوح يتأثر و تلعب فيه التأثيرات دورا ما في تطوره. فتتفقد المخططات هي من فعل أطراف خارجية فاعلة لا تتعلق باهتمامات النسق ذاته. كما أن أي فشل تسجله أكاديمية الشرق (قسنطينة) في مناحي ترقية و حفز هيئة التدريس يشكل عاملا مقوضا لإنتاج المعرفة و هكذا... و غالبا ما ينظر إلى هذا النظام على أساس أنه مجال مرئي يبين بوضوح طابع التشابك و

تفاعلاته الاجتماعية المختلفة، رسمية منها أو غير رسمية. و تلك الوظائف الفنية – الاجتماعية وكذلك الوظائف الإنسانية الأخرى المتباينة الخ... عليه، لا يمكن الجزم بان هذا النظام هو في حالة خلل وظيفي ظاهريا. لكن أن حال "التوازن" فيه كتنظيم هو ثمرة لنتاج متوازن يتأتى له من التسيير الجيد للتوترات الداخلية و تعقيدها و الصراعات بشأنها مما يشجع هدف هذا التنظيم. و هو يظهر أيضا في صورة اتفاق "Agreement" يحدث بفعل حدوث تفاعلات متحفظة.

### ملاحظات ختامية:

يفيد هذا النموذج المخطط كتنظيم لنظام جامعي يستهدف التخلص من التوترات و الانحرافات السلوكية و الضبط الإداري (السلامة). و أن مدير الجامعة الجزائرية يستطيع المحافظة على العلاقات التراتبية و يعير اهتماما كبيرا للعلاقات الإنسانية من جهة، وتأثير ضغوط المحيط من جهة أخرى. باختصار، يبدو هذا النموذج المرئي (المخطط) يتوافر على شرط السلامة في أهدافه، و لكن ما لم يوضحه المخطط تلك الهوة العميقة التي لم تزل تفصل بين المستويات العليا في التنظيم الجامعي و بين مستوياته الدنيا، و بصورة تثير التذمر و تنتج معارف لكنها تفتقد لعامل الفعالية مثلما حددها ولد خليفة " مآثر و مأخذ " المنظومة التعليمية الجامعية و البحثية. و تأتي عملية الإصلاح بعد تفهم عميق حصل عبر تجارب كثيرة و على مدى عدة سنوات من التطور باستجابة النموذج (النظام) لمختلف التأثيرات و بالتعريف بالمنتج العلمي و مجالات تطبيقه (استهلاكه).

و لتحسين مدخلات "inputs" و مخرجات "outputs" هذا النظام و التأسيس لفعاليته تقترح الشروط التالية لمعالجة أوجه القصور فيه "Dysfunction":

- 1- أن يستوعب المعنيون جميعا بالتعليم الجامعي و البحث العلمي ماذا يريد المجتمع الجزائري من المنتج الجامعي و الخبراتي بتحديد الطلب الاجتماعي ( الاستهلاك لاحقا) من هذه القدرات و على مدى منظورا مستقبليا.
- 2- أن تقبل هيئة التدريس ما يريده المجتمع الجزائري من خلال الوزارة الوصية و تستهدفه ك- شرط مسبق- للتجاوب الفعال مع هذه الأهداف و الاستجابة لمعظمها – إن تعذرت في كليتها – مما يخلق مناخا حماسيا عند التنفيذ و أن تتحرى الموضوعية عند الحكم عليها كتجربة تعليمية و بحثية نامية و هادفة في الوقت ذاته.
- 3- أن يكون باستطاعة هيئة التدريس و فرق البحث في المخابر القيام بالمهام المنوطة بعهدتهم وفقا للأهداف المرسومة و المشتقة أساسا من مناهج الوزارة و مشاريعها البحثية المبرمجة من جهة، و ضرورة توافر الشروط الموضوعية للتعليم و البحث العلمي (\*) فيما يخص التوثيق، تجهيز المخابر، تحسين مستوى الأجور من جهة أخرى.

(\*) توجد مشكلة الكتاب في الجامعة الجزائرية خاصة في العلوم الاجتماعية. فمنذ سنة 1986 توقفت عملية استيراد الكتاب و – إن توافر- فان تاريخ إصداراته لم تعد مقترنة بحاله. هذا من جهة، و من جهة أخرى، توجد مجلات محدودة في إصداراتها أيضا و خضوعها لمزاج الشلل العلمية الساهرة على تسييرها.

وهي شروط مادية و معنوية تساعد في ربط المحيط الاجتماعي و الاقتصادي و الثقافي و الإيفاء باحتياجاته (استهلاك).

4- أن لا تلجأ الوزارة الوصية إلى تعقيد الأهداف المرسومة بصورة تفوق الإمكانيات و القدرات المتاحة حالياً، مادياً و بشرياً، عوضاً عن المهمة الأساسية و التي تدور حول الحفز الإيجابي للإبداع و المبادأة.

5- أن تتجنب الوزارة الوصية التبسيط للأهداف و تسطيحها بصورة تثير الاستخفاف و الحد من قدرات هيئة التدريس و البحث و تهدر تلك القدرات و التسهيلات التي صرفت عليها أموال طائلة لتوضع تحت تصرفهم فلا يستفيدون منها.

6- أن تحرص الوزارة الوصية و أجهزتها التنفيذية على فتح قنوات للاتصال المرن و المستمر مع هيئة التدريس و لا تحتقرهم فلا يبألون بإنتاجهم و منتجاتهم و تتحول العقول النيرة لتتخذ أشكال الانسحاب "Withdrawal" أو الاستقالة "Dismiss" أو اللامشاركة "Non-Participation" و هو ما يؤثر سلباً على التفاعلات مع المحيط الجامعي و المحلي و الجهوي و حتى الدولي.

هذه بعض نقاط الضعف التي يعاني منها النظام الجامعي الجزائري و توجد حالياً محاولات عديدة لإصلاحه وفقاً لما يلي:

1. مستوى تنظيمي من خلال إعادة هيكلة النظام الجامعي على مستويات عديدة : خريطة جامعية جديدة :شرق، وسط، غرب، تشرف علمياً و تنظيمياً على كل الجامعات الواقعة في تقسيمها الجغرافي و تعرف تحت اسم " أكاديمية جهوية ". إلغاء نظام المعاهد و العودة إلى نظام الكليات لتأطير و تنظيم مختلف الأقسام لحل مشاكلها التربوية و التنظيمية العالقة.

2. مستوى تربوي / تأهيلي : تم إلغاء نظم الدراسات العليا و اعتماد نظام تربوي يقترب من النظام الأنجلو- ساكسوني في مدة الدراسة و طبيعة الشهادة المحضرة إليها و إجراءات خاصة بالتقويم التربوي عموماً. و يستهدف هذا الإجراء تأهيل هيئة التدريس و ما كانت تعانيه من مشكلات تتعلق بالمعادلات للشهادات المحصل عليها من جامعات و معاهد أجنبية من جهة، و مسايرة للتوجهات التربوية المعمول بها في جميع البلدان من جهة أخرى.

3. مستوى تنسيقي مع المحيط و اعتماد أساليب الاتصال، أفقياً و عمودياً، للجامعة الجزائرية بمحيطها و مع مختلف الجهات المعنية بمنتجاتها و مناشطها تحديداً.

4. مستوى إجرائي يعتمد أسلوب المبادأة و حلّ المشكلات المصطنعة أحياناً و إعطاء اللامركزية دوراً محورياً لتذليل العقبات التي يواجهها الطلبة و هيئة التدريس على مستوى الأقسام و الكليات.

### الخلاصة

عالجت هذه الورقة موضوعات عديدة تتعلق بإنتاج المعرفة و استهلاكها من خلال مقارنة نقدية، تقويمية لفعالية النظام الجامعي الجزائري و ما يلاقه من اختلالات تؤثر

سلبا على منتجاته و أداءاته. و تحددت منذ البداية المصطلحات المستخدمة و تأثرها بما يحدث باتجاه العولمة و ديداكتيكا المجتمع حتى و إن- لم يوفق نظامنا الجامعي من إنتاج أجيال مسلحة بالمعارف الضرورية بتعقيدات المحيط- حاولنا إبداء بعض الاقتراحات للإسهام في إصلاح الخلل و طرد الغموض الذي يكتنف الأهداف و يعرقل النظام. و مثلما هو معروف، أعط خبزك للخباز و لو -أكل نصفه- فغموض الأهداف و تعطل آليات تشغيل النظام كان طلبة قسم علم الاجتماع مثلا واقعا له. و هو ينطبق على بقية الأقسام و مخابر البحث كواقع أيضا.

غير أن هذا الخلل لا يدعو إلى فقدان الأمل بإصلاحه و وضعه في مساره الصحيح. و عموما، فإنه من الضروري وجود علاقة وثيقة و التصورات المجتمعية عن واقع الجامعة الجزائرية. و يجب أن لا تتخذ صفة المطابقة التامة باستثناء تلك التصورات التعليمية و الإيديولوجية المرتبطة بفئات اجتماعية محددة كهيئة التدريس مثلا. و أنه ينبغي أيضا أن ننظر في نوع التكوين الذي تلقاه من يحملون هذه الأفكار و التصورات. و تلك هي إشكالية مطروحة على النظام الجامعي في الجزائر.

## المراجع

### أولا: المراجع العربية

1. حسن النجفي : القاموس الاقتصادي : أنكليزي/عربي. مديرية الإدارة المحلية. بغداد 1977.
2. خير الله عصار : مدخل إلى قضايا التعليم في العلوم الاجتماعية. دار طلاس، دمشق، سوريا 1993.
3. محمد العربي ولد خليفة : المهام الحضارية للمدرسة و الجامعة الجزائرية. مساهمة في تحليل و تقييم نظام التربية و التكوين و البحث العلمي. الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر 1989.

### ثانيا: المراجع الأجنبية

1. English Forum: English Teaching Forum, Oct 1992.
2. Geyer, F. (1994), "Development in Muslim Countries : Alienation / Participation and Increasing Environmental Complexity. Paper presented at 13<sup>th</sup> world Congress of Sociology. Bielefeld, Germany 18-23 July.
3. Schwartz, L.B. (1971), "On the Use of Economic Concept of Human Capital in Financial Statements: The Accounting Review.
4. Toffler, A. (1990), Power shift – Knowledge, Wealth and Violence at the Age of the 21<sup>st</sup> Century, Bantam Books. New York. USA.
5. Toffler, A. et al. (1993), "War and Anti-War : Survival at the Dawn of the 21<sup>st</sup> Century. □

## ==== اتجاه و آليات جامعة عنابة في عملي إنتاج المعرفة و استهلاكها ====



